الفصل الأول :
خصائص الجريمة في الإنترنت

obeikandl.com

على الرغم من أن الجريمة في الإنترنت تعدّ مشابهة للجريمة في الحياة الواقعية بشكل أو بآخر، إلا أن هناك بعض الخصائص التي تميزها عن الجريمة في الحياة الواقعية. فبعض هذه الخصائص تسهم في التشجيع على الجريمة في الإنترنت وبعضها الآخر له دور كبير في جعل الجريمة في الإنترنت أخطر من تلك في الحياة الواقعية بشكل أكبر. وسيتحدث هذا الفصل عن بعض خصائص الجريمة في الإنترنت، وهي:

١- كثرة المغريات والأهداف

٢- التفاعلية

٣- سهولة الحصول على المعلومة

٤- انعدام الحواجز الجغرافية

٥- انعدام التحكم المركزي

٦- انعدام الهوية

٧- قلة التكلفة

٨- قلة الإبلاغ عنها

فيما يأتي سيتم الحديث عن كل من هذه الخصائص بشيء من التفصيل.

obeikandl.com

١-١ كثرة المغريات والأهداف

عند بداية ظهور الإنترنت، كان دورها منحصراً في المجال الأكاديمي فحسب، ومن ثم أخذت الإنترنت بالتوسع بشكل متدرج لتقدم قدراً محدوداً من المعلومات عن الشركات والمؤسسات المختلفة. ولكن بعد ما يسمى بـ (انفجار الإنترنت) تسارعت أغلب الشركات والمؤسسات المختلفة لتقديم خدماتها عن طريق الإنترنت، حيث يندر أن تجد شركة دون أن يكون لها موقع أو خدمات على الإنترنت. ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب، بل ظهرت موجة التجارة الإلكترونية (E-Commerce) التي أدت إلى ظهور الكثير من مواقع التجارة الإلكترونية، لتمكين المستخدمين من شراء البضائع المتنوعة عن طريق الإنترنت. ناهيك عن استخدام معظم الشركات والقطاعات للإنترنت كوسيلة ربط للشبكات الموجودة في أماكن متباعدة جغرافياً. ووجود الكثير من المستخدمين العاديين المرتبطين بالإنترنت سواء أكانوا بشكل دائم أم مؤقت.

كل هذه العوامل ساعدت -بلا شك- في تفعيل الجريمة في الإنترنت، حيث إن وجود هذا الكم الهائل من المواقع والأشخاص، وارتباطهم بالإنترنت يجعلهم أهدافاً محتملة للمجرمين في الإنترنت، ولا شك بأن المعلومات الموجودة في المواقع التجارية كافية لأن يسيل لها لعاب المجرمين في الإنترنت. ولعل أبسط الأمثلة على ذلك هو قاعدة البيانات المحتوية على أرقام البطاقات الائتمانية الخاصة بزبائن المواقع التجارية في الإنترنت التي دائما ما يستهدفها المجرمون في الإنترنت، رغبةً في الحصول عليها، واستخدامها للقيام بعمليات شراء غير قانونية. وكذلك المعلومات التي تنتقل عبر الإنترنت، وقد تكون في بعض الأحيان شديدة الحساسية ولا تقدر بثمن سواء لاستخداماتها التجارية، أو السياسية، أو غيرها، وأبسط الأمثلة على ذلك هو الاختراقات

المتعددة التي حصلت لمواقع وزارة الدفاع الأمريكية وشبكاتها، والتي نتج عنها سرقة معلومات شديدة الحساسية. ولعل أشهر هذه الحوادث هي الوثائق السرية المسربة من وزارة الخارجية الأمريكية التي نشرها موقع (ويكيليكس) الإلكتروني، والتي تتضمن آلاف الرسائل والبرقيات الدبلوماسية المتبادلة بين الولايات المتحدة ودول العالم. ويذكر أن موقع ويكيليكس حصل على (٢٥٠) ألف وثيقة من الخارجية الأمريكية عن طريق الجندي الشاب (برادلي مانينج)، وقد ساعده أحد قراصنة الإنترنت، ويدعى (أدريان لامو) في تصنيف وتجهيز هذه المعلومات قبل إعطائها إلى مؤسس موقع ويكيليكس (جوليان أسانج).

١-٢ التفاعلية

من أهم خصائص الإنترنت هو حيويتها وتفاعليتها، فالتحديث يكون مباشراً بعكس ما هو في الحياة الواقعية، وهذه الخاصية للإنترنت تنطبق على جميع النواحي المتعلقة بها ومنها الجريمة. ففي الحياة الواقعية وعند حدوث سرقة في بنك من البنوك، فإنه لن يُعرف الخبر إلا بعد فترة قد تمتد أو تقصر، وذلك لأن وسائل الإعلام في الحياة الواقعية في الغالب تتطلب بعض الوقت لتحديثها. ولكن في عالم الإنترنت فإن تأثير الجريمة سيكون لحظياً، فبعد أن يتم اختراق الموقع بثوانٍ محدودةٍ، فإن من يطلب صفحة الموقع سيحصل على الصفحة المخترقة. ولعل من أشهر الأمثلة على ذلك قصة اختراق موقع جريدة نيويورك تايمز التي أصبح المخترقون وأصحاب الموقع يتبادلون الكر والفر فيها، فما أن يتم تعديل الصفحة، حتى يقوم المخترقون بتغييرها مرة أخرى، واستمر ذلك على مدى ساعات، حتى تمكن أصحاب الموقع أخيرا من استعادة السيطرة عليه وإعادة الصفحة الرئيسية. وهذه الخاصية للإنترنت تجعل التعامل مع الجريمة فيها يتطلب استعدادات وإجراءات مختلفة عن تلك في الحياة الواقعية، وسيأتي الحديث عن ذلك لاحقاً.

obeikandl.com

١-٣ سهولة الحصول على المعلومات

تعدّ سهولة الحصول على المعلومات من أهم خصائص الإنترنت، فهي محيط ضخم زاخر بشتى المعلومات في مختلف المجالات. وكل ما يلزم للحصول على المعلومة التي تريدها هو ضغطة زر، مما يضفي على نشاط المجرمين في الإنترنت خطورة أشد من أولئك في الحياة الواقعية. وهذا ملاحظ في معظم بلدان العالم مثل الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أتاحت الشبكة نشر مثل هذه المعلومات على نطاق كوني، وجعلتها في متناول كل من يرغب في الحصول عليها، فانتشرت مواقع كثيرة لبيع المعلومات الشخصية، ومنها مثلا: موقع مسمى بموقع نبش الأوحال (Dig Dirt) الذي يقوم بتوفير معلومات عن الأشخاص الذين يتلقون أموال مساعدة اجتماعية بمقابل ضئيل لا يتعدى (١١٠) دولارات. ويتضمن هذا الموقع معلومات عن الفساد، فهو يوفر قوائم لمجموعة من الأطباء، والمحامين، والأساتذة، والصحافيين، والمسؤولين ذوي السمعة السيئة، من بينهم أطباء فاشلون، ومحامون يستغلون العملاء وصحفيون مرتشون مزيفون للحقائق ومزورون للمعلومات. وفي الشبكة أيضاً كثير من المواقع التي تجمع معلومات عن الأطفال والمراهقين وعن كيفية إنفاقهم لمصروفهم، ونوع مشترياتهم المفضلة، والمراكز التي يترددون عليها للشراء، وهي تشمل كل شيء عنهم حتى امتلاكهم لسندات أو أسهم، والوضع المالي لعائلاتهم. والغريب في الأمر أن الجميع يجيبون على الأسئلة التي تطرح عليهم من قبل هذه الشركات دون الإحساس بالخطر الذي قد يأتيهم من حصول آخرين على هذه المعلومات الخاصة جدا. ومن أطرف ما يأتي في هذا الباب هو موقع على الإنترنت يسمى (خداع الفيسبوك)، وقد أنشأه رجل سمى نفسه سافاج (المخدوع) عام ٢٠٠٩م، بعد وقت قصير على اكتشاف خيانة زوجته له، في محاولة منه لتعريف الآخرين بكيفية اكتشاف حالات الخيانة والخداع وتتبعها عبر

موقع (فيسبوك)، ومساعدتهم على التعامل مع الأوضاع الجديدة. وقد دفع هوس معرفة الحقيقة ببعض المخترعين حداً جعلهم يبتكرون برامج لتقفي آثر الخيانة الزوجية، أو تعقب الأشخاص من خلال مواقعهم أو اتصالاتهم، وهو أمر تبنته شركات الاتصالات والبرمجيات الإلكترونية.

شكل١-١: أحد المواقع المنتشرة في الإنترنت، وتمكن من الحصول على المعلومات عن الأفراد

ومما لاشك فيه أن سلعة البيانات الشخصية غدت رائجة، ومطلوبة من الكثير من القطاعات الاقتصادية، وربما اهتمت بعضها بشرائح معينة من الناس، ولذا تقوم بعض الشركات بجمع معلومات عن شخصيات كبيرة لا يحرصون هم أيضاً ولا يتخوفون من التطوع بتزويد المراكز والشركات بالمعلومات الشخصية التي تغص بها مواقع كبيرة على الشبكة. فالأسئلة تطرح في كل مجال، حتى عن الأمراض التي يصاب بها الأشخاص، وشركات التأمين المؤمن عليهم فيها، ووظائفهم، وأوضاعهم الاجتماعية والمالية، وأرقام بطاقاتهم المختلفة وغير ذلك. و(٩٠٪) من هذه الشركات والمواقع التجارية حسب إحصائية للجنة التجارة الفدرالية الأمريكية، تجمع

معلومات دون أن تنبه الأشخاص أو تعلن سياستها في جمع المعلومات أو مدى محافظتها على سرية تلك المعلومات. ولا يتعدى عدد المراكز أو الشركات التجارية التي تنبّه الزوار إلى ما تنوي عمله بالمعلومات المجموعة منهم وأنها تعد كل معلومة تقوم بجمعها غير سرية، وأن لها الحق في التصرف فيها بالشكل الذي تختاره إلا نسبة قليلة من الشركات العاملة في هذا المجال.

١-٤ انعدام الحواجز الجغرافية

لكي يقوم المجرم بارتكاب جريمة في الحياة الواقعية فلابد من وجوده في نفس موقع الجريمة، ولكن الجريمة في الإنترنت لا تعترف بالحواجز الجغرافية، فالمخترق يستطيع اختراق موقع خاص بشركة في إحدى قارات العالم بينما هو موجود في غرفة نومه الصغيرة أو في مقهى في الطرف الآخر من العالم. ويرجع الكثير من الباحثين سبب انتشار الجريمة في الإنترنت إلى هذه الخاصية.

ومن الأمثلة على ذلك ما حدث بين الصينيين والأمريكان بعد مشكلة طائرة التجسس الأمريكية، حيث قامت حرب إلكترونية بين البلدين، وأصبح الصينيون يقومون باختراق المواقع الأمريكية، والأمريكان يقومون باختراق المواقع الصينية. ولقد مكنتهم الإنترنت من القيام بذلك على الرغم من آلاف الأميال التي تفصل بينهم.

١-٥ انعدام التحكم المركزي

على الرغم من أن وزارة الدفاع الأمريكية هي التي أنشأت بذرة الشبكة في بادئ الأمر، إلا أنه لا أحد يملك الشبكة أو يتحكم بها حاليا. فكلُّ جهة تملك شبكتها، وهي التي تديرها وتتحكم بها دون أن تمتد صلاحياتها ونطاق تحكمها إلى شبكات الجهات الأخرى. ولا تستطيع دولة أياً كانت أن تفرض قيودها وأنظمتها على مستخدمي الإنترنت في العالم. ومع وجود الكثير من المنظمات التي تهدف لإيجاد ثوابت ومعايير للإنترنت غير أنها لا تمتلك سلطة مركزية على الشبكة المترامية الأطراف.

وهذه الخاصية تجعل التحكم بالإنترنت صعباً جداً، مما يساعد على انتشار الجريمة في الإنترنت. فالدول المختلفة تمتلك قوانين مختلفة لمستخدمي الإنترنت فيها. ومن أمثلة ذلك، وجود المواقع التي تقوم بمخالفة قوانين حماية الحقوق الفكرية، فالكثير من الدول التي تمنع وجود هذه المواقع في الشركات الموجودة في تلك الدولة، لا تملك أي سيطرة على المواقع الموجودة في دول أخرى لا يوجد لديها قوانين لاستخدام الإنترنت.

١-٦ انعدام الهوية

عندما ترتبط بالإنترنت فأنت في الأصل شخص مجهول الهوية، وهذا ما يعشقه المجرمون، حيث يستخدمون الوسائل المختلفة لإلغاء هويتهم عند اتصالهم بالإنترنت مما يجعل من تتبعهم أمراً صعباً، ومن ثم يقومون بارتكاب جرائمهم. ويرجع باحثو علم النفس ذلك لغياب عنصر الاجتماعية ووجود الاتصال وجهاً لوجه. ويذكر هذا بسلوك الإنسان بعد شيوع استخدام السيارات، حيث لوحظ أن شخصية المرء خلف عجلة القيادة تختلف عنها عندما يكون

obeikandi.com

أمام الآخرين وجهاً لوجه، فالكثير من الناس تتغير شخصيتهم لتصبح أكثر عدوانية عند قيادتهم للسيارة. وهو يماثل سلوك مشجعي كرة القدم، حيث إن وجودهم ضمن مجموعات كبيرة يخفي هويتهم مما يساعدهم على القيام بالشغب في الملاعب. وبنفس الطريقة فإن الشخص الذي يتصل بالإنترنت لا يرى منها سوى شاشة الحاسب أمامه، فاستخدامه للإنترنت يخفي هويته، ويحوله من كائن آدمي إلى مجموعة نبضات إلكترونية تنتقل عبر أسلاك الشبكات بسرعة الضوء من بلد إلى آخر. وهذا ما يجعل المجرمون في الإنترنت يتجرؤون على الجريمة، وكما قيل في الأمثال: «من أمن العقوبة أساء الأدب».

هذا لا يعني أن كل من يستخدم الإنترنت هو مجهول الهوية! فهناك وسائل لتتبع ومعرفة مستخدمي الإنترنت ولكن لكل قاعدة استثناء. والاستثناء لهذه القاعدة هم مجرمو الإنترنت والذين يمتلكون القدرة على التخفي في الإنترنت مما يجعل الوصول إليهم أمراً صعباً. ومن أمثلة هؤلاء أحد المتسللين الكنديين المشهورين الذي يذكر أنه قبل أن يقوم باستخدام مزودات المحادثة (chat servers) فإنه يقوم بالدخول عبر ستة أجهزة وسيطة لكي يجعل تتبعه مستحيلاً، ولاسيما إذا كان أحد هذه المزودات لا يسجل وقائع الاتصال والترابط بينه وبين المزودات الأخرى.

ويجب التفريق هنا بين انعدام الهوية وبين استخدام هوية زائفة. فالأولى تستخدم في الجرائم التي لا تتطلب إبراز هوية مثل جرائم الاختراق وغيرها. أما الأخرى فهي تستخدم عند ارتكاب جرائم تتطلب وجود هوية معينة، مثل فتح حساب في بنك. ولكنهما في النهاية يقومان بنفس الغرض، وهو إخفاء الهوية الرئيسة للمجرم.

obeikandl.com

١-٧ قلة التكلفة

من المعروف بأن ارتكاب جريمة في العالم الواقعي أمر مكلف ماديا. فهو يتطلب التحضير والتدريب وشراء المعدات وما إلى ذلك، مما قد يتعذر على الشخص العادي تحمل تكلفته أو الحصول عليه أساسا. أما ارتكاب الجريمة في الإنترنت فلا يكلف إلا شيئا قليلا، فكل ما يجب الحصول عليه هو جهاز حاسب آلي ذو قدرات معقولة بالإضافة إلى اتصال بالإنترنت، وبعدها يمكن لمستخدم الشبكة القيام بما يريد بافتراض أن لديه القدرات والخبرات اللازمة.

١-٨ قلة الإبلاغ عنها

لا يتم – في معظم الأحيان- الإبلاغ عن جرائم الانترنت خوفاً من التشهير أو لعدم اكتشاف ضحية هذه الجريمة لها. فمعظم جرائم الإنترنت تم اكتشافها بالمصادفة؛ بل وبعد وقت طويل من ارتكابها، زد على ذلك أن الجرائم التي لم تكتشف هي أكثر بكثير من تلك التي كشف الستار عنها، فالفجوة بين العدد الحقيقي لهذه الجرائم ؛ وما تم اكتشافه هي فجوة كبيرة.

obeikandl.com